أَصِرْمٌ أَمْ دَلالٌ؟(*)

[الطويل]

أَمِنْ آلِ لَيْلَى تَغْتَدِي أمْ تَرَوَّحُ
ولَلْمُغْتَدَى أمْضَى هموماً وَأسْرَحُ

ظَلِلْنا لدى لَيْلى وظَلَّتْ رِكابُنا
بأكْوارِها محبوسةً ما تُسَرَّحُ

إذا أنْتَ لم تَظْفَرْ بشيءٍ طلبتَهُ
فبعضُ التّأنّي في اللُّبانة أنْجَحُ

وقامتْ تَرَاءَى بعدما نامَ صُحْبَتي
لنا، وسوادُ اللَّيْلِ قد كاد يَجْلَحُ(١)

بِذِي أُشَرٍ كالأقْحُوَانِ يَزِينُهُ
نَدَى الطَّلِّ إلَّا أنَّه هُوَ أمْلَحُ(٢)

كأنّ خُزَامَى عالِجٍ في ثيابِها
بُعَيْدَ الكَرَى أو فأرَ مِسْكٍ تُذَبَّحُ(٣)

(*) هذه القصيدة ليست من الديوان وقد عثر بها الدكتور حسين نصار في منتهى الطلب.

(١) قامت «بثينة» من رقادها تتبدّى لي بعدما نام أصحابي، وقد قارب الفجر على البزوغ (ويكاد سواد الليل يجلح).

(٢) وانفرج ثغرها عن أسنان كأنها زهر الأُقْحوان، قد بلله الندى..!

(٣) أما ثوبها فقد تعطّر برائحة خُزامى الرمال (عالج). ورغم أن رائحة الأسنان=

كـأنَّ الـذي يَـبْـتَـزُّهَـا مِـنْ ثِـيـابـهـا
عـلـى رمـلـةٍ مـن عـالِـجٍ مُـتَـبَـطِّـحُ

وبـالـمِـسْـكِ تـأتـيـكَ الـجَـنُـوبُ إذا جَـرَتْ
لـك الـخـيـرُ أم رَيّـا بُـثَـيْـنَـةَ تَـنْـفَـحُ؟

مـن الـخَـفِـراتِ الـبِـيـضِ خَـوْدٌ كـأنّـهـا
إذا مـا مَـشـتْ شِـبـراً مـن الأرض تُـنْـزَحُ[١]

مُـنَـعَّـمَـةٌ لـو يَـدْرُجُ الـذَّرُّ بـيـنَـهـا
وبـيـنَ حَـواشِـي ثـوبِـهـا ظَـلَّ يَـجْـرَحُ[٢]

إذا ضـربـتـهـا الـريـحُ فـي الـمِـرْطِ أجْـفَـلَـتْ
مَـآكِـمُـهـا، والـرّيـحُ فـي الـمِـرْطِ أفْـضَـحُ[٣]

تـرى الـزُّلَّ يَـلْـعَـنَّ الـريـاحَ إذا جـرتْ
وبَـثْـنَـةُ إن هَـبّـتْ لـهـا الـرّيـحُ تَـفْـرَحُ[٤]

= بعد النّوم لا تطيب، ولكنها من «بثينة» كأنها المسك قد انفرج وخرج عن فأره (الوعاء الذي يضمه).

(١) إن «بثينة» طيبة الأخلاق، (خَوْدٌ)، شديدة الحياء (من الخفرات البيض) إن قطعت شبراً من الأرض في مشيها غيّبته وراءها.

(٢) مُنعَّمة حتى إن الذّر (صغار النمل) التي لا تؤذي، لو سرى بين أحشاء ثوبها آذى وجرح.

(٣) المِرْط: الملاءة. إذا حرَّ كف الريح ملاءتها أجفلت (مآكمها): مفردها مأكمة ـ وهي لحمة على رأس الوِرْك يصل بين العجز والمتن.
يريد «جميل» أن يُصوِّر رِقَّة جسد «بثينة»، ويمتدح ذلك.

(٤) ويضيف: بأن صاحبات الأعجاز الخفيفة (الزُّلَّ) يلعن الرياح، أما «بثينة» فإنها تفرح لذلك لأنّ عجيزتها مليئة.

إذا الــزُّلُ حــاذَرْنَ الــريــاحَ رأيــتَــهــا
مـن الـعُـجْـبِ لـولا خـشـيـةُ الـلَّـهِ تَـمْـرَحُ

وإنّـي وإن لـم تَـسْـمـعِـي لِـمَـقَـالَـتـي
لأحْـمَـدُ نَـفـسِـي فـي الـتّـنَـائـي وأمْـدَحُ

ويـرتَـاحُ قـلـبـي والـتَّـنُـوفَـةُ بـيـنَـنـا
لِـذِكْـراكِ أو يَـنـهَـلُّ دمـعـي فـيَـسْـفَـحُ[1]

وبَـشْـنَـةُ قـد قـالـتْ، وكُـلُّ حَـدِيـثِـهـا
إلـيْـنـا، ولـو قـالـتْ بـسُـوءٍ، مُـمَـلَّـحُ

تـقـول: بَـنـي عَـمِّـي عـلـيـكَ أظِـنَّـةٌ
وأنـتَ الـعَـدُوُّ الـمُـسْـرِفُ الـمُـتَـنَـطِّـحُ

وقـالـت: عـيـونٌ لا تَـزال مُـطِـلَّـةً
عـلـيْـنـا، وحـولـي مـن عَـدُوِّكَ كُـشَّـحُ[2]

إذا جـئـتَـنـا فـانـظُـرْ بـعَـيْـنٍ جَـلِـيّـةٍ
إلـيْـنـا، ولا يَـغْـرُرْكَ مَـنْ يَـتَـنـصَّـحُ

رجـالٌ ونِـسـوانٌ يَـوَدُّون أنّـنـي
وإيّـاك نـخْـزَى، يـا ابْـنَ عَـمِّـي، ونُـفْـضَـحُ

---

(١) مع بُعد المسافة (التنوفة) بيني وبينك، فإن قلبي يرتاح لذكراك وتنهلُّ دُموعي وعبراتي، وذلك من لواعج حُبِّي لك.

(٢) وتحذرني «بثينة» من العيون الساهرة المطلة علينا ترقبنا، بأنها عيون [كشّح] ـ عداوة ـ.

وقالت: تَعَلّمْ أنّ ما قلتَ باطلٌ
أيادي سَبَا منهن إنْ كنتَ تَمْزَحُ

وَحَوْلي نِساءٌ إنْ ذُكِرْتُ بِرِيبَةٍ
شَمِتْنَ، وما مِنْهُنّ إلّا سَيَفْرَحُ

ووالَّهِ ما يَدْرِي جميلُ بنُ مَعْمَرٍ
أَلَيْلَى بقَوٍّ أم بُثَيْنَةُ أنْزَحُ[1]

وكِلْتاهُما أمْستْ ومِن دُونِ أهْلِها
لِعُوجِ المَطَايا والقصائدِ مَسْبَحُ[2]

أمِنْ أجلِ أنْ عُجْنا قليلاً ولَمْ نَقُلْ
لِلَيْلَى كلاماً، لا أبا لك، تَكْلَحُ؟

فَمُتْ كَمداً أو عِشْ ذَمِيماً فإنّها
جُيوبٌ لليلى تحفظُ الغيبَ نُصَّحُ[3]

سَلُوا الواجِدِينَ المُخْبِرِينَ عنِ الهَوَى
وذُو البَثِّ أحياناً يَبُوحُ فَيُصْرِحُ

أتَقْرَحُ أكبادُ المُحِبِّينَ كالذي
أرَى كَبِدي مِنْ حُبِّ بَثْنَةَ يَقْرَحُ[4]

---

(١) قوٍّ: اسم وادٍ ـ أنزح: أبْعَد.
(٢) عُوج المطايا: الضوامر منها، إبلاً كانت أم نياقاً.
(٣) جُيوبُ نُصَّح: قلوب واعية، وصدور حافظة.
(٤) ورد البيت في: مغني اللبيب لابن هشام وشرح شواهده، للسيوطي: ٥٤٧ (٣٠٣).

فَـوَالـلَّـهِ ثُـمَّ الـلَّـهِ إنّـي لَـصَـادِقٌ،
لَـذِكْـرُكِ فـي قَـلْـبـي أَلَـذُّ وأمْـلَـحُ

مِـنَ الـنِّـسْـوَةِ الـسُّـودِ الـلَّـوَاتـي أمَـرْنَـنـي
بِـصُـرْمِـكِ، إنّـي مـن ورائِـكِ مِـنْـفَـحُ[1]

لـقـد قُـلْـنَ مـا لا يـنـبـغـي أن يَـقُـلْـنَـهُ
ويَـنْـضَـحْـن جِـلْـداً لـم يـكـنْ فـيـكِ يُـنـضَـحُ

بـكـى بَـعْـلُ لَـيْـلـى أن رأى الـقـوم عَـرَّجُـوا
صُـدورَ الـمَـطـايـا، وَهْـيَ فـي الـسَّـيْـرِ جُـنَّـحُ

ووَالـلَّـهِ مـا أدْرِي: أصُـرْمٌ تُـرِيـدُهُ
بُـثَـيْـنَـةُ أمْ كـانـتْ بـذلـك تَـمْـزَحُ؟

عَـشِـيّـةَ قـالـتْ: لا يَـكُـنْ لـكَ حـاجـةٌ،
رأيـتُـكَ تـأسُـو بـالـلّـسـانِ وتَـجْـرَحُ

فـقـلـتُ: أصُـرْمٌ أمْ دلالٌ؟ وإن يـكـن
دلالٌ فـهَـذَا مـنـكِ شـيءٌ مُـمَـلَّـحُ

إلـيَّ وإن حـاولـتِ صُـرْمِـي وهِـجْـرَتـي
فـمـا قِـبَـلـي مِـنْ جـانـبِ الأرضِ أفْـسَـحُ

ألـمْ تَـعـلَـمـي وَجـدِي إذا شَـطَّـتِ الـنَّـوَى؟
وكـنـتُ إذا تَـدْنُـو بـكِ الـدارُ أفْـرَحُ

---

(١) ينحو باللائمة على النّسْوة اللواتي أَمرنه بقطع حَبْل الوُدّ والحب من بثينة، ويصفهنّ بالسّواد، ثم يقول بأنه غير مهتم لذلك، بل يُدافع ويُنافح.

فـإنّـي عَـرَضْـتُ الـوُدَّ حـتّـى رَدَدْتِـهِ
وحـتّـى لَـحَـى فـيـكِ الـصَّـديـقُ وكُـشَّـحُ

فـأشْـمَـتِّ أعْـدائـي، وسِـيءَ بـمـا رأى
صَـديـقـي، ولا فـي مَـرْجـعٍ كـنـتُ أكْـدَحُ

فـهَـلّا سـألـتِ الـرَّكْـبَ حـيـن يَـلُـفُّـنـي
وإيّـاهُـمُ خَـرْقٌ مـن الأرضِ أفْـيَـحُ[1]

أأُكْـرِمُ أصْـحَـابـي وأبْـذُلُ ذا يَـدِي
وأُعْـرِضُ عـن جَـهْـلِ الـصّـديـقِ وأَصْـفَـحُ؟

وأُكْـثِـرُ قـولاً والـحَـبِـيـبُ مُـوَكَّـلٌ،
سـقـى أهـلَ جُـمـل حـيـثُ أمـسـوْا وأصْـبـحـوا

أجَـشُّ هَـزِيـمُ الـرَّعـدِ دانٍ رَبَـابُـهُ
لـه هَـيْـدَبٌ جَـمُّ الـعَـثَـانِـيـنِ رُجَّـحُ[2]

ذكـرتُـكِ يـوم الـنَّـحـر، يـا بَـثْـنُ، ذِكْـرَةً
عـلـى قَـرَنٍ والـعِـيـسُ بـالـقَـوْمِ جُـنَّـحُ[3]

عَـوَاطِـفَ بـالـعَـيْـنَـيْـنِ بـيـنَ مُـسِـرَّةٍ
لَـقـاحـاً وأُخْـرَى حـائِـلٍ تَـتَـلَـقّـحُ

---

(١) الخرق: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. الأفيح: الواسع.
(٢) الأجش: الغليظ الصوت، يصف المطر. الرباب: السحاب الأبيض. الهيدب: الحواشي. العثانين: جمع عثنون، وهو أول المطر، أو ما بين السماء والأرض منه، أو المطر عامة. الرجح: الثقيلة الممتلئة ماء.
(٣) قرن: جبل. العيس: الإبل البيض يخالط بياضها شقرة.

دُهِـنَّ بـأسْـقَـاطِ الـلُّـغَـامِ كـأنّـهُ
إذا قَـطَّـعَـتْـهُ الـرِّيـحُ قَـزٌّ مُـسَـرَّحُ (١)

ويـومَ وَرَدْنـا قُـرْحَ هـاجَـتْ لِـيَ الـبُـكـا
مِـنَ الـوُرْقِ حَـمّـاءُ الـعِـلاطَـيْـنِ تـصْـدَحُ (٢)

ويـومَ وَرَدْنـا الـحِـجْـرَ، يـا بَـثْـنُ، عـادنـي
لـكِ الـشَّـوقُ حتَّى كِدتُ باسمكِ أُفصِحُ (٣)

ولـيـلَـةَ بِـتْـنـا بـالـجُـنَـيْـنَـةِ هـاجَـنـي
سَـنـا بـارقٍ مـن نـحـوِ أرضِـكِ يَـلْـمَـحُ

قَـعَـدْتُ لـه والـقـومُ صَـرْعَـى كـأنّـهـمْ
لـدى الـعِـيـسِ بـالأكـوَارِ خُـشْـبٌ مُـطَـرَّحُ

أُراقِـبُـهُ حـتّـى بَـدَا مُـتَـبَـلِّـجٌ
مِـنَ الـصُّـبـحِ مـشـهـورٌ ومـا كـدتُ أُصْـبِـحُ

ولـيـلـةَ بِـتْـنـا ذاتَ حـاجٍ ذكـرتُـكُـمْ
هُـدُوّاً وقـد نـامَ الـخَـلـيُّ الـمُـصَـحَّـحُ (٤)

وبِـتُّ كَـئـيـبـاً لادّكـاري وصُـحْـبـتـي
عـلـى مَـشْـرَعٍ فـانـهـلَّـتِ الـعَـيـنُ تَـسْـفَـحُ

---

(١) المنتهى وهن، تحريف. الأسقاط: جمع سقط، وهو ما أسقط. اللغام: الزبد. القز: الحرير. المسرح: المرسل.

(٢) قرح: وادي القرى أو سوقها. الورق: الحمام. حماء: سوداء. العلاط: صفحة العنق.

(٣) الحجر: أرض ثمود.

(٤) ذات حاج: موضع. هدواً: أي بعد أن هدأ الليل وسكنت الأصوات فيه.

ويَـوْمَ مُـعَـانٍ قـال لـي فَـعَـصَـيْـتُـهُ:
أفِـقْ عَـنْ بُـثَـيـنَ، الـكـاشِـحُ الـمُـتَـنَـصِّـحُ

ويَـوْمَ نَـزَلْـنـا بـالـحِـبـالِ عَـشِـيَّـةً
وقـد حُـبِـسـتْ فـيـهـا الـشَّـراةُ وأذْرُحُ[1]

ذكـرتُـكُـمُ فـانْـهـلَّـتِ الـعَـيـنُ إنّـهـا
إذا لـم يـكـن صـبـرٌ أخَـفُّ وأرْوَحُ

ولـيـلـةَ عَـرَّسْـنـا بـأوْدِيَـةِ الـغَـضَـا
ذكـرتُـكِ، إنّ الـحُـبَّ داءٌ مُـبَـرِّحُ

ويَـوْمَ تَـبُـوكٍ كِـدتُ مـن شِـدّة الأسَـى
عَـلَـيْـكِ بـمـا أُخْـفـي مـنَ الـوَجْـدِ أُصْـرِحُ

(١) الحبال: الكثبان الرملية المستطيلة. الشراة: من أداني الشام بفلسطين. أذرح: مدينة. حبست: يريد غابت وراء هذه الكثبان الرملية.